



رسالتي إلي ترامب وفقرة منها في خطابه بالرياض  
بقلم : رانف مجد الويشي

4 يونيو 2017

**# في 6 مارس 2017 أرسل** العبد الفقير إلي الله رسالة إلي الرئيس ترامب في ثلاث عشرة صفحة بعنوان " خطة من أجل السلام في الشرق الأوسط " ، كما أرسلت في أيام لاحقة نسخا عديدة منها لوزير الخارجية الأمريكي وحاكم ولاية ميزوري حيث أعيش ورئيس مجلس النواب وثلاثة عشر عضوا آخرين من أعضاء الكونجرس بمجلسيه ..

في مكتب البريد كنت أمام خيارين ، إما أن أدفع دولارات قليلة عبارة عن طوابع عادية لهذه الرسائل ، وإما أن أدفع مئات الدولارات بغرض تحقيق أقصى تأمين ثم الحصول علي إمضاء بالاستلام من الجهة المرسله إليها ، كان الخيار الثاني رغم تكلفته العالية هو الأنسب ، وقد تسلمت إمضاء الاستلام من المذكورين ، وأولهم كان مكتب الرئيس ترامب ..

( ملاحظة : كانت أول نسخة من تلك الخطة قد تسلمها باليد مكتب نائبة الكونجرس السيدة آن واجنر الواقع خلف منزلي وذلك في 1 فبراير 2017 ، ثم آثرت التعامل المباشر مع أصحاب الشأن في البيت الأبيض والكونجرس بالصورة التي ذكرتها ) ..

انقسمت " خطة من أجل السلام في الشرق الأوسط " التي كتبتها وأرسلتها للجهات المذكورة إلي ثلاثة محاور :

- 1- براءة الإسلام من الإرهاب..
- 2- دور النظم الاستبدادية بالشرق الأوسط في انتشار الإرهاب كسبيل للبقاء بالحكم بحجة محاربه ..
- 3- عرض قضية سلام حقيقية تحقق الاستقرار والرخاء للأطرف الثلاثة ( إسرائيل – فلسطين – الجيران ) ، كانت المبادرات الثلاث التي قدمت بالعقود الأربعة الماضية تستند علي عنصر واحد وهو العودة إلي حدود 4 يونيو 1967 ، حدث ذلك في مبادرة الأمير فهد في عام 1981 ، وفي " عهدة رايبين " في عام 1995 ، وفي المبادرة العربية في عام 2002 ، وهي نسخة فهد المعدلة..

اشتركت المبادرات الثلاث في ضرورة العودة إلي حدود 4 يونيو وفتح الحدود ، لكن لم يكن بها الحافز الكافي لإسرائيل كي تقبل بأي منها ، زادت مبادرتي عما سبق في تقديم هذا الحافز..

من المهم أن أذكر أن هذا الحافز لن تتمتع به إسرائيل وحدها بل أيضا وعلي نفس الدرجة - وربما أكثر - مصر وفلسطين وآخرون من الجيران ، وهو حافز لا يشبه " الرشوة النقدية " التي تدفعها أمريكا لمصر وإسرائيل ، فالرشوة قد تتوقف يوما وتعود الأمور إلي المربع الأولي بعد وقت ما ، هذا هو أساس ما يقلق إسرائيل ، وبالإضافة إلي تلك الرشوة فهناك الشعب المصري الذي لم يشعر بأي عائد من هذا السلام ، الحافز في خطتي سيُجبر الجميع من شعوب ودول – وأولهم إسرائيل - علي الحفاظ علي تلك الخطة ..

جلست أستمع لخطاب الرئيس ترامب في الرياض في يوم الأحد 21 مايو ، توقعت أن تكون بعض فقراتي التي كتبتها في " خطة السلام " في خطابه ، كنت علي يقين أن تلك الفقرات ستكون فقط من المحور الأول ، أي محور " براءة الإسلام من الإرهاب " ..

**# لم تكن هذه هي المرة الأولى** التي أسمع فيها فقرة من رسالتي من فم الرئيس الأمريكي ، بل أزعج – وأنا العبد الفقير إلي الله – أنها المرة الثانية ، والأمر يحتاج هنا إلي المختصر المفيد من الكلام :

في النصف الأول من تسعينات القرن الماضي اعترض طريقي في نيويورك بعض رجال المخابرات المصرية وعرضوا عليّ العمل معهم فرفضت رغم المغريات التي أخرها نار وقودها الناس والحجارة..

كنت أعمل حينها في ناطحة من أشهر ناطحات نيويورك ، بعد عدة سنوات من لقاء المخابرات المصرية شكرني رئيس قسم الأمن بالناطحة ( ضابط سابق كبير ومحترف ) بسبب غلقي لثلاث ثغرات أمنية خطيرة بالناطحة ، بعد عدة أيام تعرضت لحادث أثناء إنقاذي لطفلين في الناطحة بسبب تساقط قطع من رخام أحد الجدران ، فقد غطيت بجسدي الطفلين وسقطت تلك القطع علي جسدي بدلا منهما ، لم تكن مهمتي حين أغلقت الثغرات الأمنية الثلاث الخطيرة بالناطحة ، كما لم تكن مهمتي أيضا حين أنقذت الطفلين من الموت المحقق ، لكن النتيجة النهائية هي أنني تعرضت لإصابات بليغة وفقدت عملي الذي كان يأكل منه أطفال ، وهم ولدوا في أمريكا ومن أم أمريكية ..

رفض مكتب الناطحة أن يمديني بتقرير الحادث وأعلن تحديه لي بالخسران لو رفعت قضية تعويض ، أجبرتني صعوبة المعيشة علي العودة لمصر مع أطفالي وزوجتي وتركت القضية في عهدة أحد المحامين في نيويورك.. خسرت قضيتي في عام 2002 ، أغلب الظن أن دمي قد تم بيعه وتلقي طرف ما الثمن في نيويورك تحت الطاولة ، هكذا قررت الناطحة الغدر بأحد أبطالها ، وهو من أنقذها من إرهاب محتمل تغافل عنه المتخصصون في قسم الأمن ، وهو أيضا من أنقذها من تعويضات كانت ستصل إلي ملايين عديدة لو كان قد حدثت إصابة أو موت لأحد الطفلين أو كلاهما ، كم هي رائعة حقوق الإنسان في أمريكا !!

كنت في مصر عندما تلقيت صفة خسران قضيتي ، الحق أقول أنني لم أشعر بها ، كانت الصفعات متتالية في مصر من الجهات الأمنية بدرجة أفقدتني أي شعور بصفة نيويورك ، كان انتقام الجهات الأمنية لي في مصر بسبب رفضي العمل معهم في نيويورك مركزا وعنيفا ، كان الطبخ في تلك الصفعات علي نار هادئة ، أنا الإنسان المسالم أدفع هذا الثمن من طاغية يتعامل مع شعبه وكأنهم قطع من المشاية !

بدأت الصفعات في مصر باستدعائي عدة مرات لمركز جابر بن حيان بالدقي بعد أسابيع من وصولنا ، تطور الأمر بطلب مغادرتي لمصر من الرائد " خالد " في فرع جابر بن حيان ، ثم الاعتداء عليّ من الجهات الأمنية القريبة من السفارة الأمريكية لأنني اعترضت علي رجال الأمن الذين وضعوا أيادهم علي جسد زوجتي بحجة تفتيشها رغم عدم أي متعلقات معنا سوى جوازي السفر ، ثم الاعتداء عليّ من قبل بلطجية النظام أثناء سيرني في الشارع وتحرير محاضر ضدي ، المؤلم هو أن طفلي كانت معي في أحد تلك الاعتداءات مما سبب لها انهيارا عصبيا وفقدت النطق والسيطرة علي التبول عندما شاهدت الدم يسيل من وجهي ، تكفل التقرير الطبي بالمستشفى بالتغطية الكاملة لبطجية الداخلية وذكر أن الجراحات سطحية ، ضمنت الجهات الأمنية بهذه المحاضر استدعائي من منزلي عدة مرات في كل قضية كي أف طوال النهار بين المجرمين ثم صرفي بعد إهانتني ..

زاد صمتي وعدم شكوتي إلي السفارة من شهية الجهات الأمنية بمصر ، كنت أعلم أن العلاقة بين الإدارتين بعد هجمات سبتمبر قد أصبحت كعروسين في شهر عسل وبالتالي فإن الشكوى للسفارة ستضر ولا تنفع ، كانت أفسى الصفعات هي تحويل حياة أطفالي إلي جحيم في جوف الليل بلقاء الحجارة علي النوافذ ، كنا نري الحجارة صباحا داخل حديقة المنزل المسورة أسفل النوافذ مباشرة !

نصحتني أحد الحكماء بأن أذهب إلي مكتب شكاوي الجماهير في قصر عابدين ففعلت ، أخبرني مدير المكتب بقصر عابدين بعد تأثره بما سمع بأن أذهب إلي قصر العروبة برسالة إلي زكريا عزمي رئيس الديوان ، تخوفت من الإقدام علي تلك الخطوة لكنها بقيت في خاطري ..

بعد شهرين جاءت الشرطة لمنزلي في العاشرة صباحا بسبب محضر جديد من محاضر البلطجية ضدي ، كانت القضية الخامسة ، كانت بعد عشرة أيام من براءتي من القضية الرابعة التي صنعوها لي ، اختلفت القضية الخامسة عن سابقتها ، قيدتني الشرطة هذه المرة وسارت بي لقسم الشرطة بغرض تحطيم معنوياتي أمام المارة أو دفعي للانتحار ، ثم كان الاعتداء اللفظي والجسدي هناك ، أفرجوا عني في الرابعة فجرا ، أقسمت لمأمور القسم بأنني ذاهب بخطاب لقصر العروبة لتقديمه لمدير الديوان ، ضحك ساخرا وزادت ضحكاته !

في الواحدة ظهرا كانت سيارتي مع أطفالي وزوجتي أمام قصر العروبة ، حرصت علي اصطحابهم معي لإثبات سلميتي ، فربما يتم قتلي هناك لو ذهبت منفردا بحجة الهجوم علي القصر لاغتيال الرئيس بعد وضع رشاش بجوار جيتي ! أمرني أحد ضباط الحرس أمام القصر بالانصراف ، كان يبدو أنه يعرف مسبقا بقدمونا من خلال ما وعدت به المأمور ، قلت له سأذهب من هنا ولكن إلي السفارة كي أذكر كل ما فعلتموه معنا وسيتمل هو وحده نتائج ذلك ، طلب مني الانتظار وأجري اتصالا ثم اصحبني داخل المجمع السكني لمبارك وهو في مواجهة القصر ..

أمضيت ساعات طويلة في غرفة قيادة المجمع السكني ، كنت أري سيارتنا من شاشات تلك الغرفة ، كان الجو باردا وزاد إلحاحي علي قائد الغرفة ( الرائد عمرو الشافعي ) كي يتركني لإنقاذ أسرتي من البرد والجوع والاحتجاز دون دورة مياه مع أهم التي لا تتكلم العربية علي أن يحتجز جوازات سفرنا الأمريكية الخمسة وأعود له مباشرة لكنه رفض !

غادرت غرفة قيادة المجمع برفقة أحد الضباط إلي مكان مجهول بعد دقائق من الحادية عشر من مساء تلك الليلة ، خضعت هناك لتحقيق استمر لساعتين ثم غادرت المكان مقيدا والعصابة علي عيني ..

تعرضت إلي تعذيب وحشي لثلاث ساعات ، في الخامسة صباحا قذفوا بي علي الطريق من سيارة ، كانت عيناي مغلقين من شدة التعذيب ، أجريت تسع عمليات جراحية فيهما بسبب تهتك الشبكية الناتج من التعذيب البربري ..

سبعة أشهر مضت وأنا أفكر في الانتقام من رجل واحد بمصر يسمي حسني مبارك ، أعددت يافطات عريضة تسبه وتسب عائلته وعصابته لرفعها علي منزلي كي يراها المارة ، صنعت نموذجا من أحدهم كي يتم رفعه أمام قصر العروبة ، يكفيننا أن نرفعه لمدة ثانية ثم أموت مع أسرتي بعد ذلك ، يا ليتها كانت القاضية ، وافقتني زوجتي علي ذلك ..

بعد صلاة فجر الاثنين 5 سبتمبر 2005 رفعا اليافطات علي المنزل ، لقد غطته تلك اليافطات الكبيرة ، أخذنا اليافطة النموذج معنا ( 70 سم X 3 متر) إلي القصر ، حملنا آمال المصريين معنا في تلك اليافطة ، كنت أشعر أنها مهمة تكليفية من كل مصري لنا بتوصيل تلك الرسالة إلي الطاغية الفاسد : " أيها الدكتاتور والمخرج الهزلي ، لقد جعلت وعصابتك من مصر سجنا به الفساد والبطوجة والفقر والبطالة والأمراض ، سندهبون إلي الجحيم ومزابل التاريخ وستنهض مصر " !

في التاسعة إلا عشر دقائق من هذا الصباح توقف بنا التاكسي أمام بوابة القصر الرئيسية ، بعد ثابنتين فقط كنت مع زوجتي نرفع الشعار ، هرب سائق التاكسي بسيارته مذعورا وكاد يصطدم بالرصيف ، لم يكن المسكين يدري ما ننوي فعله ، كنت قد أخبرته أن مدير أمن بوابة القصر هو شقيقي وينظرنا لإعطائنا كارنيه نحصل بموجبه علي تخفيض للكشف بالمستشفى العسكري ، صدق القصة خاصة بعد أن أجريت حديثا سوريا في المحمول مع ما أزعم أنه شقيقي الضابط كي ينتظرنا أمام البوابة ..

وقف أطفالنا بجانب الشعار وهم لا يدرون ما يحدث ، خرج النمل من المجمع والقصر ، صرخ قائدهم فيهم بعدم الاعتداء علينا بعد أن أدرك من ملاح زوجتي أنها أجنبية ، بعد نصف ساعة خرج موكب مبارك ليعبر الشارع إلي القصر ، توقف في عرض الشارع وفتح بعضا من النافذة وقرأ الشعار المرفوع ، نظر لي ونظرت له ، بعد فتح الطريق كانت السيارات تؤيدنا وتطلق أبواقها فاضطروا لإغلاقه ، اضطرب طريق المطار بشدة بسبب ذلك ، كنت أسمع صراخهم أمامنا في اللاسلكي ، رفضت لمدة ساعتين إلحاح الضباط بالدخول لمقابلة الطاغية ، في الحادية إلا عشر دقائق جاءنا زكريا عزمي ، وقف كبار ضباط الحرس الجمهوري في نصف دائرة خلفه يستمعون للحوار :

- إيه يا عم رائف ، تعالي معايا جوه ، الرئيس عايز يعنتر عما حدث ، هو لم يكن يعلم به ، سيقوم بتنفيذ كل طلباتك !
- لن أغير موقفي ، إما تحضرون أحدا من سفارتي أو تستخدمون العنف لصرفنا من هنا !

دامت محاولات زكريا عزمي الماكرة لربع ساعة إلا أنها فشلت جميعها ، في الثانية عشر والثالث توقفت سيارة من السفارة الأمريكية وخرج منها أحد الأمريكيين ومعه المترجم الذي قرأ له اليافطة ، اقترب منا بعد أن فتح له الحرس الطريق بقديسية شديدة :

- مرحبا ، اسمي كريستوفر ريتش ، أنا القنصل بالسفارة الأمريكية ، هل تمانع في الحديث معي !؟
- مرحبا سيد ريتش ، لا أمانع مطلقا ، لقد كنت في انتظارك منذ الصباح ، هيا بنا إلي السفارة لتتحدث ..
- إنه أمر جيد أن يتم ذلك بهذه السهولة ، لقد أخبروني بصعوبة الحديث معك !

سمع القنصل ريتش في طريقنا إلي السفارة لقصتي ، أعطي من السيارة أوامره للسفارة بتجهيز غرفة ذكر رقمها مع حضور شخص ذكر اسمه ، استمرت جلسة السفارة لأكثر من ساعتين ، شاهدت في السفارة الأسف علي وجهه بعد سماع التفاصيل ، لكنه قال جملة تبين أن ما حدث لنا كان بضوء أمريكي أخضر : " السيد رائف لقد تسلمنا معلومات بالخطأ عنك " ، قالها بأسف وهو ينظر إلي الأرض !

لم يكن الأمر يحتاج إلي ذكاء كي أدرك أن أجهزة الطاغية الفاسد قد كذبت علي الأمريكيين بزعم أنني أحمل فكرا إرهابيا ليحصلوا منهم علي ضوء أخضر لتعذيبنا ، ربما ساعد الحجاب الشرعي لزوجتي في ترسيخ هذا الكذب عند الأمريكيين حيث كنا نذهب شهريا للسفارة لأخذ بريدنا الذي لم أرغب في أن يصل إلي منزلنا كي أتجنب العيب به من قبل الأمن المصري ..

أعطيت القنصل ريتش رسالة بتفاصيل ما حدث لنا ، كانت هناك فقرة في تلك الرسالة تقول : " انتم تؤيدون الطغاة والفاستين لتمرير مصالحكم " ، سمعت جورج بوش في خطاب له بعد ذلك يقول تلك العبارة ، إذن وصلت رسالتي إليه !

توقفت منغصات الأمن لفترة ثم عاودت في مايو 2007 ، قمت علي الفور بإرسال موجة من الفاكسات إلي أعضاء الكونجرس أشكي لهم فيها ما أتعرض له ، لقد نقلت القضية لجهة أعلي من السفارة وهو ما أغضبها وعرضها للمساءلة فيما بعد ، خاصة بعد أن تلقيت ردودا من بعض أعضاء الكونجرس ، كان أولهم " السيناتور " أوباما الذي كان قد أعلن نزوله الترشيح الرئاسي ..

أخذ الكونجرس في 12 يونيو 2007 قرارا بتجميد 200 مليون دولار من أموال المساعدات لمصر ، في 18 يونيو كنت بالطريق الصحراوي في أثوبيس عام مع زوجتي ، اعتراضت سيارة ملاكي الطريق وتوقف الأتوبيس وصعد إليه رجلان بلباس مدني ، كان كل منهما يحمل مسدسا في جانبه ، أخرجاني من الأتوبيس وتعرضت لاعتداء منهما ، أخبرتهما أنني سأرد علي ذلك ..

في 20 يونيو وقفت بجانب سور وزارة الداخلية مع أسرتي ورفعا يافطة بها التالي : إعمال وزارة البلطجة : حماية الطغاة واللصوص - اعتقال الشرفاء - هناك العرض - التعذيب - القتل ..

لم تدم الوقفة لربع ساعة حيث نزل علي الفور قادة كبار وأخذوا يجرون اتصالات ثم هجم علينا الأمن مع كلابه البوليسية بنوعيتها ، قاموا بخطفي مع ابني القاصر ( 15 سنة ) في سيارة ميكروباص أجرة وغادروا المكان ، ذهبت زوجتي إلي السفارة بعد تهديدها !

بعد ساعتين قضيتهما منفصلا عن ابني في قسم عابدين حضر أربعة من السفارة ، اجتمعت معهم وأخبرتهم بالاعتداء عليّ منذ يومين ، سمعت أثناء

عودتي للزنازة صراخ ابني من التعذيب ، دفعت الحارس و عدت إلي الأمريكيين بالغرفة لإخبارهم ، لم يهتموا بشكوتي !

في الواحدة والنصف صباحا رأيت ابني للمرة الأولى منذ افتراقنا ، كنا في طريقنا لنيابة عابدين ، شاهدت دما علي قميصه ، أخبرني أنه من ضربة تلقاها في أنفه ، في الخامسة صباحا عدنا إلي القسم ، تركونا معا في غرفة ، سقط ابني من الإجهاد وقلة النوم والجوع ، أتى أحد الجنود وسكب الماء عليه لمنع من النوم ، في التاسعة صباحا تم ترحيلنا إلي لاطوغي ، سمعت الضابط يقول لسائق سيارة الترحيل : " يتشوا " ، توقفت السيارة بعد دقائق في لهيب يونيه ، كانت السيارة مغلقة وصندوقها الحديدي بلا نوافذ إلا من ثقب وعبارة عن دورة مياه لمن سبقنا من معتقلين ، كاد ابني أن يموت اختناقا ، عندئذ فهمت كلمة " الشوي " التي أمر بها الضابط !

في العاشرة والنصف توقفت السيارة أمام لاطوغي ، كنا ثلاثة ، أدخلونا ونحن معصوبي الأعين ومقيدين ، كنا نسمع صراخا ، سقط ابني مغشيا عليه بعد ساعة من دخولنا ، جاء الحرس في الواحدة ظهرا لاصطحاب رفيقنا ثم لاصطحابنا لمكان آخر ، تعرضت مع ابني للتعذيب ونحن في قيودنا ومعصوبي الأعين ، أعادونا إلي مكاننا ، جاء رفيقنا محمولا ، كان ينزف دما من جبهته التي كانت تلقت ضربة بألة حادة من أحد الضباط ، سقط ابني مغشيا عليه للمرة الثانية ، خرجنا في الرابعة فجرا ، ثلاثة أيام من الاعتقال والتعذيب دون نوم أو طعام أو شراب ، باستثناء بعض القطرات من مياه غير نظيفة من دورة المياه عند الوضوء للصلاة مع ابني ..

أرسلت موجة ثانية من الفاكسات للكونجرس ، ظل " السيناتور " أوباما متابعا معي لقضيي مع الخارجية في واشنطن ، لقد أرسل لي بردهم عليه واكتشفت من هذا الرد أن الخارجية الأمريكية كذبت عدة مرات علي " السيناتور " أوباما وبالتالي فإنها متواطئة مع الأمن المصري !

في حادث الاعتداء في الأتوبيس العام تواطأت السفارة وأعطت اسم شاهد الأتوبيس إلي الداخلية فذهب إليه الأمن وهدده فانسحب ، وفي لاطوغي رغب رفيق المعتقل أن يذهب إلي السفارة ليشهد بما رأي فرفضت السفارة مقابله ، كنت قد استيقنتهم وحصلت علي شهادة مكتوبة منه بامضائه وبصمته حتي لا توشى به السفارة إلي الداخلية كما فعلت مع شاهد الأتوبيس ، قدمت شهادته إلي السفارة فأنكروا لأوباما تسلمها ، عرفت ذلك من ردهم إليه الذي أرسله لي ..

في فبراير 2008 تقدم " السيناتور " أوباما بطلب لعقد جلسة استماع لأمر يتعلق بقضيي وانقطعت التفاصيل عنا ، في 15 مايو 2008 حضر جورج بوش إلي شرم الشيخ ، فشلت الزيارة فشلا كبيرا وتكلم الإعلام العالمي عن ذلك وغادر بوش بعد ساعتين ، أشعر أن قضية تعذيب طفلي كانت سببا من أسباب هذا الفشل ..

كان لابد من مغادرة مصر ، خاصة مع احتمالات كبيرة في فوز " السيناتور " أوباما الذي يعلم تفاصيل قضيتنا ، أرسلنا إلي " الرئيس " أوباما بعد فوزه نطلب منه عدلا ففقدناه ، تعددت الخطابات دون مجيب ! ديمقراطية أمريكية رائعة لا تكف عن إعطاء النصح لدول المعمورة أو انتقادها !

في 27 سبتمبر 2012 أفردت صحيفة الفجر صفحة كاملة لقصتي بقلم الصحفي محمد الباز ، رغم ذكر الصحيفة بعض ما حدث لي وعدم ذكر تعذيب ابني القاصر إلا أن الخارجية الأمريكية أصدرت بيانا في اليوم التالي ( الجمعة 28 سبتمبر ) تنصح فيه رعاياها في مصر بتوخي الحذر !

هكذا حاصر الرئيس أوباما قضيتي كي تبقي في الظلام ، فأفشل كل محاولتنا مع الإعلام الأمريكي أو المحامين ، كما أطلق الأمن الأمريكي العنان لسنائه لإسقاطي بطرق غرامية خبيثة كي تسقط قضيتي معي ، وفشلوا !  
كان ذلك لسببين : أولا هو أن اسم الرئيس أوباما يتواجد بالقضية ، ثانيها هو تعذيب طفل قاصر أمريكي المولد علي أيدي جهات أمنية أجنبية بالخارج وفي حضور مسئولين أمريكيين وهو ما سيسبب صدمة للرأي العام الأمريكي يتبعها محاكمات بالتقصير أو بالتأمر ..

ستبقي قضيتنا حية ما حيينا ، نفصح بها العدالة الأمريكية التي غدرت بنا أكثر من مرة ، ونفصح بها عسكر الطاغوت ! الفشلة الفسدة الجهلة القتلة ! لعنهم الله أينما وجدوا !

رانف محمد الوبيشى

أمريكا

تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على صفحته ومدونته

www.ahrarmisr.com